مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٣٠ع٣ ص ص: ٣٢٥- ٣٤٤ (٢٠٢٢م)
DOI:10.4197/Art.30-311

تدريس الفلسفة في ضوء العقيدة الإسلامية

د. مضاوي بنت سليمان البسام
أستاذ مشارك قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية
جامعة الملك سعود

مستخلص. قبل تدريس الفلسفة لا بد من تحديد عدم ارتباط الفلسلفة بدلالة محدودة ولا منهج محدد ولا بأفكار الفلاسفة القدامى أو المحدثين، بل هي التفلسف وإبداع المفاهيم،- وحتى نخرج في قضية تدريس الفلسفة من هاجس الخوف على العقيدة لا بد أن نبني مناهجنا على التفلسف لا الفلسفة، ونفرِّق بين الفلسفة من حيث هي مقولات وتصورات، وبين الفلسفة كعلم مستقل وقائم بنفسه لا يخضع لزمان ولا مكان ولا مجتمع ولا حضارة، إنما ينبع من خصوصياتنا وواقعنا، وأن الارتباط الوثيق بين الفلسفة والدين يؤكد على ضرورة الاستفادة من الفلسفة في المجال الاعتقادي من خلال إبداع منظور فلسفي إسلامي معاصر يجيب عن الإشكالات العقدية المعاصرة في مجال المعرفة والوجود والقيم، يقوم على أساس معيار السؤال والنقد والبناء العقلي المحكوم بآليات تراثنا الإسلامي، مع ضرورة الاستفادة من المفاهيم الفلسفية العالمية بما يتوافق مع هويتنا الإسلامية، وإعادة إبداعها في المجال الفلسفي العربي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، التفلسف، العقيدة، تدريس، إسلامي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد: فإن من العلوم البشرية التي كثر الجدل حول تعلمها وتعليمها علم الفلسفة، ومع أن هذا العلم عبارة عن مجموعة علوم وفنون لا ينبغي الحكم عليها حكماً واحداً بالرد أو القبول، بل ينبغي النظر في تفاصيلها وفحصها بعين مجردة وهو الأمر الذي نبَّه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [١٢٦٣ – ١٣٢٨م] بقوله: "وأما نفي الفلسفة مطلقاً أو إثباتها فلا يمكن" [ابن تيمية، ١٩٨٦، ١/ ٣٥٧].

إلا أن الناس قد انقسموا فيها وفي تدريسها بين مؤيد يرى ضرورة الأخذ بها، وبجعلها الفريدة في بابها دون التفصيل في المقبول منها والمردود، وبين معارض يحذر منها ويبدِّع المشتغلين بها مطلقاً، ويعتبرها شرًّا محضاً على عقيدة المسلم، ومن أسباب هذه النظرة أن هذا العلم قد انتحله بعض المنتسبين للإسلام وبنوا عليه ما يتعلق بالإلهيات، ومن هنا أتى نقد هؤلاء العلماء للفلسفة، ومن التحذير من تعلمها على أنها قرين السفسطة والانحلال الفكري، حتى أضحى كثير من طلبة العلم في حيرة من أمره، هل يُقدم على تعلُّم هذا العلم أم لا؟ وهل ثمة خطر على عقيدته من تعلُّمها؟ ومن هنا تأتي هذه الدراسة لا للكشف عن الحكم الفقهي في تدريس الفلسفة، وهو الأمر الذي أكثر الدارسون بيانه قبولاً ورفضاً، وإنما تنتظم هذه الدراسة لمناقشة تعلم وتعليم الفلسفة من ناحية عقدية من خلال الجواب عن إشكالات عدة منها، ما علاقة الفلسفة في العقيدة؟ وما حقيقة أثرها على عقيدة المسلم؟ وهل ثمة جانب مقبول في الفلسفة يمكن تدريسه؟

وتأتي أهمية الدراسة لعدة أمور:

أولاً: أن الفلسفة علم حاضر في كثير من العلوم تحمل في طياتها الكلام في الأخلاق، والوجود، والمعرفة، والعلوم الطبيعية، وما يتعلق بالإنسان ومشكلاته الفردية والمجتمعية.

ثانياً: أن تدريس الفلسفة من المسائل التي كثير فيها الخوض والجدل، وحَسْمُ هذا الجدل لا يكون بالردود العاطفية، بل لا بد من معالجته عقائدياً، وهي الزاوية التي حُذر منها بسببه.

ثالثاً: أن طلبة العقيدة هم أولى الناس بالوقوف على حقيقة العلاقة بين الفلسفة والعقيدة حتى لا يتصف موقفهم بالحيرة.

ويظهر بهذا الوصف أن حدود البحث ستكون منضبطة في تحرير الجانب العقدي في تدريس الفلسفة، ولا علاقة له ببيان الموقف الفقهي والذي هو أعمّ من ذلك.

الدراسات السابقة:

لم أجد – بحسب ما اطلعت عليه – مَن اعتنى بالبحث في تدريس الفلسفة من منظور عقدي، وغاية ما هنالك مقالات متفرقة في تأييد أو رفض تدريس الفلسفة، ويمكن الإشارة إلى ملف من مجموع مقالات في تدريس الفلسفة من إعداد مركز مؤمنون بلا حدود، وتقديم الطيب بوعزة ويوسف بن عدي، وهي عبارة مجموعة من دراسات ومقالات وحوارات في تجارب بعض البلاد العربية في تدريس الفلسفة.

خطة البحث:

وقد انتظم البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: الفلسفة وعلاقتها بالعقيدة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ماهية الفلسفة والتفلسف والفرق بينهما.

المطلب الثاني: علاقة الفلسفة بالعقيدة.

المبحث الثاني: الأهمية العقدية لتدريس الفلسفة.

المبحث الثالث: حجج رافضي تدريس الفلسفة ومناقشتها وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفلسفة تؤدي إلى الإلحاد.

المطلب الثاني: الفلسفة تفسد الأخلاق.

المطلب الثالث: الفلسفة تؤدي إلى الشك.

المطلب الرابع: الفلسفة محرمة بأقوال السلف.

المطلب الخامس: تدريس الفلسفة في بعض البلاد العربية أثَّر سلباً لا إيجاباً.

المبحث الرابع: ضوابط ومعاير في تدريس الفلسفة.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول: ماهية الفلسفة وعلاقتها بالعقيدة

المطلب الأول: تعريف الفلسفة والتفلسف والفرق بينهما:

من أهم الإشكالات في علم الفلسفة هو تحديد ماهية الفلسفة، إذ يتقاسم الفلاسفة تعريفها دخل الحقل الفلسفي، ولكن ليس ثمة تعريف مقبول لم يسلم من النقد.

فأفلاطون [٤٢٧ – ٣٤٧ق.م] يعرفها بأنها: "علم الوجود الحق، المفارق لعلم الظواهر" [أفلاطون،٢٠١٠ ، ص ٨٣].

ويرفض أرسطو [٣٥٢ – ٣٨٤ق.م] هذا التعريف ويؤكد على أن الفلسفة هي: "بحث عن الوجود بما هو موجود" [أرسطو، ص ٤٤] أي تحديد العلة الأولى.

ويأتي في الفلسفة المعاصرة الفيلسوف هيدغر [١٨٨٩م – ١٩٧٦م] ليقرر أن ما فعلته الفلسفة منذ أرسطو إلى اليوم هو نسيان الوجود لا بحثه أو الوقوف على دلالته. [٢٠٧٠، ص ٤٨ – ١٢٣].

ويعرفها لنا كانط [١٧٢٤ – ١٨٠٤م] "بأنها أسلوب في التفكير".[٢٠١٧، ص١٨٧].

وهكذا تتوارد تعاريف الفلاسفة للفلسفة حتى تكاد تساوي عدد الفلاسفة.

حتى قال جوزيف بوخينسكي [١٩٠٢ – ١٩٩٤م] جواباً عن سؤال: ما هي الفلسفة؟ "مما يؤسف له أن هذا السؤال يعد من أصعب الأسئلة الفلسفية" [١٩٢٦، ص ١٥].

وفي الحقيقة أن ارتباط كل فيلسوف بتعريف خاص به يعبر به عن ممارسة الفلسفة يساعدنا في بناء أول

خطوات تدريس الفلسفة، وهي أن ندرك أنه ليس للفلسفة دلالة محدودة ولا منهج محدد، وأن لكل فيلسوف صناعة مفاهيمية خاصة به، فأفلاطون يقترن ذكره بمفهوم المثل، وأرسطو بمفهوم المنطق، وسقراط بمفهوم الحد الماهوي، وكانط بمفهوم النقد... وهكذا.

فكل هؤلاء الفلاسفة وغيرهم الذين أنتجوا لنا فلسفات أثَّرت في تاريخ الفكر البشري، إنما أنتجوها بناء على تفلسفهم وتفكيرهم أكثر من اعتمادهم على فلسفات غيرهم.

والحالة هذه : فلا بد من تجاوز محاولة تعريف الفلسفة إلى التفلسف وهو ما يعبر عنه جيل دولوز [١٩٢٥ – ١٩٩٥م]: "أنه فن تكوين وإبداع المفاهيم" [١٩٩٧، ص ٧٢].

فإبداع المفاهيم هو المطلب الأساس للفلسفة وهو ما أبدعه الفلاسفة عموماً، وهو التعبير الصريح عن الفلسفة.

وبهذا التمييز بين الفلسفة والتفلسف نستطيع القول: بأن الفلسفة ليست الجمود على النصوص الفلسفية والتمسك بحرفيتها، أو حفظ تاريخ الفلسفة ورموزها، وليست نمطاً مرتبطاً بحضارة أو شعب، وإنما هي: تركيب دلالات كلية من خلال جواب عن أسئلة كبرى في لحظة من التاريخ أو من تطور المجتمع، أو كما يعتبر ابن خلدون [١٣٣٢ – ١٤٠٦م]: "طبيعة للإنسان من حيث أنه ذو فكر، غير مختصة بملة، بل يوجب النظر فيها لأهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة" [٢٠١٤، ص ١٠٠٦].

وكما قال كانط: [١٧٢٤ – ١٨٠٤م]: "ليس هناك فلسفة يمكن أن نتعلمها، بل كل ما يمكن أن نتعلمه هو التفلسف" [٢٠١٧، ص ٤٧].

ولعل تحديد ماهية الفلسفة والتفلسف السابق يمهد لأولى خطوات تدريس الفلسفة، ويزيل الإشكال الذي يطرحه مناهضو تدريس الفلسفة باعتقادهم أن الفلسفة هي مجرد نتاج فلاسفة اليونان والفلاسفة المحدثين.

المطلب الثاني: علاقة الفلسفة بالعقيدة:

العقيدة والفلسفة مفهومان بينهما قواسم مشتركة في طبيعة الموضوعات المستهدفة، فهما يعتنيان بدراسة ثلاثة أمور رئيسية تتمثل في (منظومة القيم، الوجود وأسراره وغاياته، المعرفة وأدواتها ومصادره)، وتفصيل ذلك هو التالي:

١ – تشتغل العقيدة في تقرير حقائق الوجود وأصل الحياة ومادتها والنشأة الأولى، وتفسير الظواهر الكونية وهذا يتفق مع غايات الفلاسفة وإعمالهم لأقوالهم لمثل هذه الغايات.

٢ – الكشف عن علة هذا الوجود وفكرة الألوهية التي هي أهم قضايا التفكير الفلسفي.

٣ – اهتمام العقيدة والفلسفة بالجانب الإنساني، وجعل النفس مجال بحث ونظر، وما فيها من خفايا وعلاقتها

بالجسد والروح.

٤ – اشتغال العقيدة بالقيم الأخلاقية وخصائص هذه القيم، وهو أحد أقسام المبادئ الفلسفية.

٥ – التأكيد على دو رالعقل في حصول المعرفة، وهو محور أصول الفلسفة.

كل هذه القواسم المشتركة جعلت كثيراً من الباحثين ينظرون إلى الفسلفة بوصفها جزءاً من الدين، أو أنها صنيعة الدين، فالفلسفة تنشأ في أحضان الدين أو على أثر الإيمان بالدين، فمن الدين إلى التفلسف، ومن هنا يمكن الاستفادة من الفلسفة في المجال العقدي، وليس المقصود تبني آراء فلاسفة الفلسفة اليونانية أو الحديثة وحفظها والتلفيق بينها وبين الدين، وإنما المراد ابتداء صناعة التفلسف باستخراج المخزون الفلسفي في الإسلام من خلال التنقيب عما في التراث الإسلامي (العقدي والتشريعي) من مواد فلسفية وتحليلها ودراستها وتصنيفها وتنسيقها والاستفادة منها، ومن ثم إبداع منظور فلسفي إسلامي معاصر يتوافق مع متطلبات المرحلة الحاضرة مما يخدم قضاياه العقدية خاصة فيما يتعلق بمبحث الوجود، وما يتعلق به من الجواب على الأسئلة الفلسفية الوجودية، وكذلك ما يتعلق بمبحث الأخلاق والأزمة القيمية المعاصرة، وسؤال المعرفة، ويكون هذا من خلال الاستفادة من الفلسفة باعتبارين:

الأول: اعتبار الفلسفة آلة لصناعة المفاهيم ونحت الاستدلالات سواء بمكوناتها المنطقية، أو باعتبارها عملية التفكير العقلاني.

الثاني: الاشتغال بالفلسفة لفتح المجال أمام العقل للتنقيب عن أبواب من الوحي تجيب عن الأسئلة التي تثيرها الفلسفة.

وبهذين الاعتبارين أقام شيخ الإسلام ابن تيمية [١٢٦٣ – ١٣٢٨م] منهجه في التفلسف في المجال العقدي، فابن تيمية لما نقض المنطق، أي منطق أرسطو، نقضه وهدم مقولاته المركزية بأدلة فلسفية، ثم صنع مفهوماً منطقياً بديلاً، هو المنطق التجريبي والذي أخذ به فلاسفة الغرب كجون ستيوارت مِل [١٨٠٦ – ١٨٧٣م]، وديفيد هيوم [١٧١١ – ١٧٧٦م]، وهذا ما يقرره الدكتور سليمان الندوي [١٨٨٤ – ١٩٥٣م].

أذ يقول:"ابن تيمية، ذلك العبقري النادر، بالرغم من كونه كان حكيماً دينياً إلا أنه كان في الحقيقة ذلك الرجل الذي خرج سليماً من ضر بيت الفلسفة الفاتن، كل أعماله مليئة بالإدانة المريرة للفلسفة، ومع ذلك فقد كان بنفسه فيلسوفاً كبيراً، لقد وصف ابن تيمية بشكل مذهب الارتباك والذهول الذي أصاب الفلاسفة في كتابه العقل والنقل، وكتب كتابه الكبير "الرد على المنطقيين" من أجل دحض منظومة أرسطو المنطقية، إن قراءة هذا الكتاب بعناية تعطي القارئ الانبطاع أن ابن تيمية في الحقيقة هو أول مؤسس لمنظومة جون ستيوارت مِل وهو رائد فلسفة ديفيد هيوم" [١٩٢٧،ص٣٣].

وفي تقديمه لكتاب (الرد على المنطقيين) يقول: "إذا أمعنت النظر في هذا الكتاب "الرد على المنطقيين" تجد مسائل منطقية وفلسفية ابن تيمية أبو عُذرتها، وهي تطابق كل المطابقة بما قال فلاسفة الافرنج في هذا العصر في بعض مسائل المنطق والفلسفة... وكم لهذا النابغة في الكتاب من نوارد لم يسبقه إليها أحد" [٢٠٠٥، ص ١٨].

ويقول محمد إقبال: [١٨٣٧ – ١٩٣٨م]: "ابن تيمية قرر في كتابه نقض المنطق أن الاستقراء هو الطريقة الوحيد الموصلة لليقين، وهكذا قام المنهج التجريبي" [١٩٦٨م، ص ١٤٧].

ويظهر منهج التفلسف في مجال الاعتقاد عند ابن تيمية بالاعتبار الثاني من خلال كتابه (درء تعارض العقل والنقل) والذي جاء جواباً على أسئلة أثارها الفلاسفة نحو تقديم العقل على النقل، وقِدَم العالم، ومنع التسلسل وغيرها، ليجيب عنها ابن تيمية من خلال المخزون المنطقي الفلسفي في القرآن والسنة ودلالة العقل الصريح في نظرية متكاملة الأركان في نظرية المعرفة.

إذن لا غنى لطالب العقيدة عن تعلم الفلسفة، فهي جزء لا يتجزأ من البناء العقدي، ولا بد من تجاوز ثنائية إما الدين أو الفلسفة تحت شعار الخوف على العقيدة، فالعقيدة الإسلامية فيها من القوة البرهانية ودلائل الحق الظاهرة ما تتلاشى عندها كل المقولات الفلسفية الضالة، والخائف على العقيدة من الفلسفة فهو إما جاهل بالإسلام أو جاهل بالفلسفة ونظرياتها البشرية المتناقضة، ولم يفرِّق بين الفلسفة والتفلسف والذي هو محور الدرس الفلسفي المقصود بهذا البحث.

المبحث الثاني:

الأهمية العقيدة لتدريس الفلسفة

خلافاً لما يظنه بعض رافضي تدريس الفلسفة من كون الفلسفة قد تساهم في الانحراف العقدي، يأتي هذا المبحث للكشف عن دور الفلسفة الفعال في المجال العقدي مما نبينه في السطور التالية:

أ – تساهم الفلسفة في ترسيخ الإيمان من خلال مبادئ التفكير الفلسفي العقلي ويكون ذلك بما يتوافق مع فلسفة الإسلام في العقل، وشاهد ذلك ما نجده في القرآن الكريم من الأدلة والمناهج الفلسفية العقلية مما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وأفكارهم. [حسن، ٢٨٣/١].

"إذ سلك القرآن الكريم طرقاً عقلية متنوعة لترسيخ الإيمان، ووسائل شتى للإقناع، فمن الناس من لا يرضيه إلا قياس تام، أو برهان عقلي مقنع، وهؤلاء هم الذين غلبت عليهم النزعة العقلية في التفكير، والميل الفلسفي في التحليل، فخاطبهم القرآن بما فيه مقنع لهم، وبما يساير طرائق تفكيرهم، فاستخدم القرآن في سبيل إقناعهم الصور التي ألِفوها في الاستدلال، من مثل استخدام قياس الخلف في إثبات الوحدانية في قوله تعالى: (ما اتخذ الله من

ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) [المؤمنون: ٩١].
فالاستدلال في هذه الآيات قائم على إثبات المطلوب بإبطال نقيضه وهو أحد مسالك الإقناع الفلسفي.
ومن الناس من يُعنَى بالعلم التجريبي، وبحث حقائق الأشياء من خلال التجربة العلمية، فهؤلاء يخاطبهم القرآن الكريم بما يفهمون، ويوجه أفكارهم إلى تأمل السنن الإلهية في الخلق، وقراءة كتاب الكون، وهو أهم مصادر المعرفة في التفكير الفلسفي.
ومنهم من هو في تفكيره أقرب إلى الفطرة، وهذا النوع يناسبه امتزاج الحق بالتأثير الوجداني، والجمع بين الحجة بأنصح بيان، وإثارة العاطفية وشحذ الوجدان، فاتبع القرآن الكريم مع هذا الصنف الأسلوب الخطابي أحد أساليب الاقناع في التفكير الفلسفي. قال تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) [الإعراف: ١٩٤].
ب – تعمل الفلسفة على محاربة البدع، من خلال ممارسة إحدى مهارات التفكير الفلسفي وهي مهارة التحليل والشك في بعض المعتقدات الدينية المحدثة "البدعة" فالمنهج الإسلامي ينبذ التقليد ويقوم على التعامل النقدي مع النصوص من خلال نظرية معرفية محددة، لها جانب فلسفي عميق يعتمد على عامل الشك المنهجي لتحديد المعتقدات التي ينطبق عليها مفهوم البدعة فيرفضها، وهذا هو المنهج الديكارتي، فديكارت [١٥٩٦ – ١٦٥٠م] كان يؤمن بأهمية المنهج في الفلسفة، وقد أوضح في كتابه "مقال في المنهج" القواعد الأربع لمنهجه، القاعدة الأولى تقول: "أن لا أقبل شيئاً على أنه حق، ما لم أعرف بوضوح أنه كذلك" [ديكارت، ص ١٠٩]. وهذه القاعدة هي الأساس في تحديد البدع، فأي معتقد ديني لا يُسلم بأنه حق ما لم يثبت ذلك، وكل معتقد ديني محدث لا تؤيده النصوص هو موضع شك ولا يمكن قبوله إلا بالعودة به للمصادر الأصلية، وإثبات ذلك يكون ابتداء من خلال التحليل والشك في مدى مشروعيته للتشريع، لتحديد أصله الشرعي.
ج – يمكن أن تساهم الفلسفة في مواجهة الإرهاب والتطرف الديني والغلو في الدين كظاهرة لا تمت بصلة إلى الدين.
التطرف والغلو يحضران غالباً في مجال الاعتقادات والآراء والأفكار، مما يفقد صاحبه الحس النقدي والنظر والتبصر، فلا يؤمن إلا بفكرته بصورة متخيلة عن الكمال أو المطلق، ويأتي دور الفلسفة بمواجهته من خلال بدايتها الاستفهامية ضد كل الأسس الاعتقادية واليقينيات المتجذرة بلا مستند شرعي صحيح أو عقلي صريح، فتعيد فحصها ومساءلتها، فتدريس الفلسفة يُلهم دارسيها منهجية التفلسف والتي تبدأ بالضرورة بالسؤال الفلسفي.
د – الفلسفة تساعد في نقض النزعات الشكية والإلحادية، فإذا كان الإلحاد يقوم في بعض مدارسه على أصول فلسفية، فإنه بالمقابل قام مجموعة من أهل العلم بنقض الفلسفة الإلحادية بالفلسفة نفسها بجمع الأدلة الفلسفية

الدالة على فساده وبطلانه، وحيث إن عنوان البحث يتقضي عدم الخروج به عن موضوعه، فإني سأحيل إلى نماذج من هذه الجهود في بعض المصنفات الحديثة:

١ – كتاب عقيدتنا في الخالق والنبوة ولآخرة، لعبدالله نعمة، الكتاب اشتمل على مناقشة فلسفية لكثير من الأسئلة التي يقوم عليها الإلحاد، وكذلك احتوى على نقاش للمخرجات الفلسفية التي استنبطت من النظريات الفيزيائية وغيرها.

وقد استوعب الكتاب أهم الأبواب التي يدور عليها الإلحاد وهي وجود الله والنبوة والغيب واليوم الآخر.

٢– الله موجود، أدلة فلسفية – فريدريك غيو.

ويقوم الكتاب على حجاج فلسفي مقنع يثبت من خلاله المؤلف وجود الإله بالأدلة العقلية الفلسفية.

٣ – المعرفة في الإسلام– عبد الله القرني.

وفي الكتاب بيان للأصول الفلسفية والشرعية التي يقوم عليها الإيمان بالأصول العقائدية كقضية وجود الله، والإيمان بالغيب واليوم الآخر، وإثبات الضروريات العقلية والمبادئ الأولية بمنهج فلسفي شرعي محكم.

٤ – العلم من منظوره الجديد روبرت م. اغروس.

والكتاب يقوم على إثبات أزلية الكون بمنهج فلسفي قوي متين.

٥ – قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن. نديم الجسر.

والكتاب عبارة عن حوار مطول بين شاب متشكك في وجود الله وبين عالِم شرعي، فهو شبيه بالعمل الروائي ، ويعد هذا الكتاب من أقوى الكتب التي عرضت الأدلة العقلية والفلسفية على وجود الله، وكشفت عن مواطن الخلل المنهجي في الفكرة الإلحادية.

وإيراد مثل هذه النماذج من الكتب لا يعني الحكم على كل ما فيها من أفكار بالصحة والصواب، وإنما المقصود بيان تميز الفلسفة بمسالك برهانية يُستفاد منها في مواجهة الإلحاد، وهذه هي ثمرة تعلم التفلسف والذي تَقَرر فيما سبق أنه: صناعة المفاهيم والبرهنة عليها.

هـ – كشف حقيقة الآراء والمذاهب الفلسفية، إذ إن النظر في بعض الفلسفات الباطلة والوقوف على حقيقتها يستلزم معرفة مضمونها للرد عليها، ولا بد من التفلسف كمنهج في الرد، فمثلاً ابن تيمية [١٢٦٣ – ١٣٢٨م] كان على سعة اطلاع على المذاهب الفلسفية وتاريخها، حتى حدا به إلى القول إبان مناقشته لمناهضيه: (كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه) [١٩٩٥، ٣/١٥٣].

وطريقته في جودة الترتيب والتقسيم والتبيين لا تخلو من أثر الفلسفة، وغالباً ما تكون ردوده نقدية يستعمل فيها الأسلوب الجدلي البرهاني، وهو الغالب في طرحه الفلسفي بصورة عامة، شأنه في ذلك شأن الغزالي الذي كان

أكثر شيء طعناً في الفلسفة وصدًّا عنها مع أن عقله كان في أغلب الأمر عقلاً فلسفياً، وكان أسلوبه في الجدل أسلوب التفلسف.

– دراسة مبحث القيم من خلال الفلسفة فقد حظيت القيم الأخلاقية والإنسانية بأهمية كبرى في الفلسفة على امتداد تاريخها الطويل، وشغلت عقول الكثير من العلماء والفلاسفة، حتى أصبحت مبحثاً فلسفياً رئيساً من بدايات الفلسفة اليونانية وحتى الفلسفة المعاصرة، وقد كان مبحث القيم الأخلاقية موضع اهتمام واضح من علماء المسلمين على اختلاف علومهم وتخصصاتهم، فأقاموا فلسفة أخلاقية على أسس غيبية، إذ لم ينفرد العقل عندهم بصناعة فلسفة الأخلاق كما هو الحال في الفلسفات الوضعية، وإنما استفادوا من النص في صناعة عقلية منهجية، فصاغوا فلسفة أخلاقية بجذور عقدية كما في كتابي (مدارج السالكين)، و(مفتاح دار السعادة) لابن القيم [١٢٩٢ – ١٣٤٩م].

و – تساعد الفلسفة في تأسيس نظرية المعرفة: نظرية المعرفة قديمة قدم التفلسف وإن لم تفرد لها أبحاث مستقلة إلا منذ عهد الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) [١٦٣٢ – ١٧٠٤م]، إذ كان أول من وضع هذا البحث في صورة العلم المستقل، وذلك في كتابه (مبحث في العقل البشري) الذي نشر سنة ١٦٩٠، ويعد كانط [١٧٢٤ – ١٨٠٤م] بعد "لوك" أعظم من كتب في نظرية المعرفة وأرسى قواعدها على أسس علمية سليمة" [الزنيدي، ٢٠١٣، ص ٥٧].

ولا نبالغ إذا قلنا أن كتب الفلسفة ليست إلا كتباً تؤرخ لنظرية المعرفة عند الفلاسفة المختلفين؛ لأن الاهتمام بنظرية المعرفة هو الذي تركز عليه الفلسفة دائماً، وهو أحد نتائجها، وهذا ما أكده زكي نجيب محمود [١٩٠٥ – ١٩٩٣م] حينما قال: "نظرية المعرفة عند الفيلسوف هي رأيه في تفسير المعرفة أيّاً ما كانت" [١٩٥٦، ص ٨]، وتحليل المعرفة من شتى نواحيها يوشك أن يكون هو الشغل الشاغل للفلاسفة منذ القرن السابع عشر حتى اليوم فهم الذين استطاعوا أن يميزوا بين الذات والموضوع، وهم الذين بحثوا بحثاً جدياً العلاقة بين الإدراك والوجود وهم الذين اهتموا بنصيب الذات في عملية الإدراك.

ثم إن موقف الفيلسوف الحديث أو المعاصر في نظرية المعرفة هو أحد المعايير الرئيسية لتصنيف التيارات الفلسفية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، لاسيما أن الفلسفة الحديثة تبحث في الوجود من خلال نظرية المعرفة، فقد تناول جون لوك مشكلة الجوهر، ونقد جورج باركلي [١٦٨٥ – ١٧٥٣م] لهذا المفهوم على أساس من تحليله للمعرفة، وبحث ديفيد هيوم في مبدأ السببية من خلال تحليل المعرفة الحسية، وتناول كانط لمفهوم الشيء بذاته وعدم قابليته للمعرفة، ولعلماء الإسلام السابقين في مجال المعرفة ومسائلها إسهاماً عظيماً، فهم وإن لم يؤلفوا فيها تآليف خاصة ملتزمة بالنسق الفلسفي المعهود في الدراسات المعاصرة، إلا أن بعضهم أفرد مؤلفات لبعض

مسائل هذه النظرية، كما في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، والذي بحث فيه العلاقة بين مصدري المعرفة العقل والنقل. [الزنيدي، ٢٠١٣، ص ٥٧].

وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الكبير الذي تبناه بعض علماء المسلمين وقيامهم بمراجعة العديد من الرؤى الفلسفية، وتقويمها خاصة أنها في عدد من مباحثها تلامس مسائل عقدية وإلحادية هامة، فأخذوا ما فيها من الحق ونقضوا الباطل، فكانت تلك الأدوار المميزة سبباً في إظهار نور الحق ودخول عدد من الفلاسفة في الإسلام بعدما تبين لهم ما كانوا عليه من باطل وضلال.

المبحث الرابع:

حجج رافضي تدريس الفلسفة ومناقشتها

المطلب الأول: الفلسفة تؤدي إلى الإلحاد:

للجواب عن هذا الإشكال لا بد من التمييز بين الفلسفة والإلحاد من حيث الموضوع، إذ إن الفلسفة من حيث الأصل مثلها مثل العلم تماماً،ليست مؤمنة ولا ملحدة، وليست نظرية، أو أيديولوجية، أو مجموعة من المضامين أنتجها الفلاسفة حول الوجود يجب أن تتبع أو تطبق، فهذا التعريف لم يقل به فيلسوف عبر تاريخ التفكير الفلسفي بل هي (كما سبق بيانه) فن تكوين وإبداع المفاهيم.

أما الإلحاد فهو: مذهب يقوم على فكرة إنكار وجود الله الخالق، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة [الميداني، ١٩٧٩، ص ٤٦٤]، وهكذا يظهر أن الفلسفة نقيض الإلحاد، إذ تشتغل الفلسفة في الجواب عن سؤال الوجود لا إنكاره، وعلى هذا فإن من يقول: إن الفلسفة تساوي الإلحاد، فهذا – في الواقع – لا يعرف الفرق بين الفلسفة والإلحاد.

ثم يقال: إذا كانت الفلسفة نوعاً من التفكير يؤدي إلى الإلحاد، فلماذا نجد بعض الفلاسفة مؤمنين رفضوا فكرة عبثية الوجود وعشوائية الموجودات، والذي هو جوهر فكرة الإلحاد؟ ولماذا نجد غير الفلاسفة ملحدين حتى قبل نشأة الفلسفة؟ بل إن الدين نفسه يدعو إلى التفكير الفلسفي – ويجعل الإيمان من نتائج التساؤل والتدبر والتفكير؟

وفي الحقيقة أن الربط بين الفلسفة والإلحاد يخدم الإلحاد والملحدين، لأن الفلسفة تقوم على التفكير العقلاني المنطقي، وبالتالي فإن هذا الربط يعني أن الإلحاد يتسق مع التفكير العقلاني، والإيمان يتناقض معه وهذا القول يدعم الإلحاد ولا ينقضه.

وهكذا نتوصل إلى أن الفكر الفلسفي القائم على التفكير العقلي المجرد، سيتوصل إلى الإجابة عن أسئلة الوجود،

وسيرفض حتماً الإلحاد وعبثيته.

يقول "فرانسيس بيكون": "إن قليلاً من الفلسفة يجنح بالعقل إلى الإلحاد، ولكن التعمق في الفلسفة خليق بأن يعود بالمرء إلى الدين" [بيكون، ٢٠١٣، ص ٤٣].

المطلب الثاني: الفلسفة تفسد الأخلاق

تعتبر الأخلاق من المباحث الفلسفية الكبرى التي شغلت الفلاسفة اليونانيين وحتى الفلاسفة المعاصرين، إذ انصب جهدهم في الإجابة عن الإشكالات التي تشغل عقل الإنسان كالفرق بين الخير والشر، وعن مفهوم الفضيلة والسعادة وغيرها من المباحث الأخلاقية التي ترتبط بحياة الإنسانية.

ومع تعدد الاتجاهات الأخلاقية في الفلسفة الغربية واختلاف مشارب الفلاسفة في تناول القضايا الأخلاقية، لكن هذا التضارب الظاهر لا يعني تغير المصدر الأخلاقي عند الفلاسفة، ذلك أن العقل منذ الفلسفة اليونانية وحتى الفلسفة المعاصرة هو المصدر الذي تُستمد منه الأخلاق، لكن الإقناع العقلي في مجال الأخلاق لا يكفي لإلزام الإرادة على السلوك القويم، فلا بد من عنصر الإلزام لكي يسلك المرء طريق الخير دون الشر.

وهذا ما تفتقده الفلسفة الحديثة وهو من المآخذ التي تواجه فلسفة الأخلاق الغربية، إضافة إلى الفصل بين الدين والأخلاق الأمر الذي أدى إلى هدم أي تصور معياري للأخلاق. [زيدان، ٢٠٢١، ص ٦٧ - ١١٤ بتصرف].

وهاهنا نتساءل: هل ثمة فلسفة أخلاقية بناءة يمكن أن تكون بديل عن فلسفة الأخلاق الغربية ويمكن أن تُدرج ضمن فلسفتنا في التدريس؟

الجواب: نعم، فقد زخر التراث الفلسفي الإسلامي بنظريات فلسفية في الأخلاق متكاملة ومتوافقة مع الشرع، تقوم دعائمها على العقل والفطرة والدين، وقد اتفقت هذه النظريات على أن الأحكام العقلية الإنسانية الضرورية لا يمكن أن تختلف مع ما شرع الله، وأن العقيدة الإيمانية والعقل الصريح يشكلان مصدراً للإلزام الخلقي، وهذه الفلسفات الأخلاقية في تراثنا الإسلامي هي نموذج في التربية الخُلقية، وفي الإصلاح الاجتماعي من خلال ربطها بين الدين والحياة والتجربة الواقعية التي تؤدي إلى التطبيق، وما كانت هذه النظريات إلا من خلال التفلسف في القيم والمقاصد والدعوة إليها على أساس الربط بين الفلسفة والأخلاق [صبحي، ٢٠٠٦، ص ٣٣ - ١٠٥ بتصرف].

ولكي تصبح الفلسفة مصدراً قويماً للأخلاق فلا بد من ربطها بالعقيدة باعتبارها المصدر الرئيس للإحسان بقدسية القوانين الأخلاقية وأنها أكبر دافع يدفع الإنسان إلى الأعمال الإيجابية الخيرة، وهذا ما ذهب إليه بعض الفلاسفة، إذ يذهب الفيلسوف فيخته [١٧٦٢ - ١٨١٤م] إلى أن الأخلاق من غير دين عبث.

وفي الجهود الفلسفية لعلماء الإسلام في الجانب الأخلاقي أبرز دلالة على أن فلسفة الأخلاق من خلال تراثنا

الإسلامي هي من مقومات ضبط السلوك الأخلاقي لا فساده، بشرط أن يكون تدريس ذلك وفق منظور تراثنا الإسلامي وما يتوافق مع شرعنا من الفلسفة الغربية في مجال الأخلاق [حلمي، ٢٠٠٤، ص ١٤١ – ١٨٣].

المطلب الثالث: الفلسفة تؤدي إلى الشك

يرد هذا الإشكال عندما لا يتم التفريق بين أنواع الشك، فمن المعلوم أن الشك نوعان: مطلق ومنهجي، والشك المنهجي يختلف عن الشك المطلق أو المذهبي، فالشك المذهبي أو المطلق دائم وغاية في ذاته، أي أن مضمونة قائم على أنه لا تتوافر للإنسان إمكانية حل أي مشكلة، وقد عبَّر القرآن عن هذا الشك المرفوض بالريب (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) [النور: ٥٠].

وهذا النوع من الشك مرفوض في التفكير الفلسفي ونوع من السفسطة، والمنهج الفلسفي يقوم على الشك المنهجي أو النسبي، وهو شك مؤقت ووسيلة لا غاية في ذاته، إذ غايته الوصول إلى اليقين، أي أن مضمونه المنهجي عدم التسليم بصحة حل معين للمشكلة إلا بعد التحقق من كونه صحيح، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "هو واجب على كل من لا يؤدي واجباً إلا به، وهذا أصح الأقوال" [١٣٩٩هـ، ص ٨/٨].

ونجد هذا الشك يتمثل بكبير الفلاسفة العقلانيين ديكارت الذي لم يشك يوماً في قيمه المسيحية! بل كان شديد الارتباط بها، ولم يبرحها في كل لحظات إنشائه الفلسفي، وحتى في تطوافه الخيالي الطويل، واعتقد الكثيرون أن ديكارت فارق إيمانه، فاتبعوه في تخيله، وهو فراق على مقتضى الخيال وليس على مقتضى الدليل، فذهب ظاهر إيمانهم وبقي خالص إيمانه، فالأصل في الكوجيتو الديكارتي هو وجود الإيمان لا فقدانه كما اعتقد كثير من المقلدين، [عبدالرحمن، ٢٠٠٤، ص ٢٩ – ٣١].

المطلب الرابع: الفلسفة محرمة بأقوال السلف

السلف في حكمهم على الفلسفة على صنفين، صنف حكم عليها دون النظر فيها أو نقدها، وصنف انكب على دراستها والتبحر فيها ونقدها ثم الحكم عليها، فمن الصنف الأول ابن الصلاح [١١٨١ – ١٢٤٥م] والذي قال عن الفلسفة: "الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، والزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبّس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم" [١٩٨٦، ٢٠٩/١].

وقال السيوطي [١٤٤٥ – ١٥٠٥م]: "وأما المنطق وعلوم الفلسفة فلم أشتغل بهما؛ لأنهما حرام، كما ذكر النووي وغيره، ولو كانت مباحة لم أؤثرها على علوم الدين". [د.ت، ص ١٣٨].

ويقول الذهبي [١٢٧٤ – ١٣٤٨]: "والحكمة الفلسفة الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه، ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه، فإن هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق، ولكن ضلال من لم يدر ما

جاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة شر ممن يدري، واغوثاه بالله، إذا كان الذين قد انتدبوا للرد على الفلاسفة قد حاروا ولحقتهم كسفة، فما الظن بالمردود عليهم، وما دواء هذه العلوم وعلمائها والعاملين بها علماً وعقداً إلا الحريق والإعدام من الوجود" [٢٠١٣، ص ٨٩].

فهذه النصوص تبين طريقة بعض السلف في الحكم على الفلسفة وتحريمها وتحريم الاطلاع عليها، وحرقها وإعدامها من الوجود، دون نقدها، فضلاً عن تمييز حقها من باطلها.

أما الصنف الثاني من علماء السلف فقد نظروا في الفلسفة بعين ناقدة معارضة بفلسفة مضادة، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي نظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وهو أكثر من يُنقل عنه تحريم الفلسفة، وبأقواله يعتضد رافضو تدريس الفلسفة، ولذا سأقف مع تلك النقولات بالتحليل والاستنتاج.

يقول ابن تيمية [١٢٦٣ – ١٣٢٨م]: "أما نفي الفلسفة مطلقاً أو إثباتها فلا يمكن، إذ ليس للفلاسفة مذهب معين ينصرونه"، [١٩٨٦، ١/٣٥٧].

ويقول: "ما يسمى عقليات منه حق، ومنه باطل" [١٩٩١، ١/٩١] ومعنى ذلك أن في الفلسفة جانب مقبول وجانب مرفوض، والحكم عليها ليس سواء.

ويقول: "وعلم الإنسان باختلاف هؤلاء ورد بعضهم على بعض، وإن لم يعرف بعضهم فساد مقالة بعض، هو من أنفع الأمور" [١٩٨٦، ٥/٢٨١]، ويقول رحمه الله: "لا ريب أن القوم لهم أوضاع واصطلاحات كما لكل أمة، ولكل أهل فن وصناعة ولغتهم في الأصل يونانية وإنما ترجمت تلك المعاني بالعربية، ونحن نحتاج إلى معرفة اصطلاحهم لمعرفة مقاصدهم، وهذا جائز بل حسن... ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو باطل" [٢٠٠١، ص ٢٣٤]، واستدل رحمه الله بحديث زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه. [البخاري، ٢٠٠١، ٩/٧٦].

إذن تعلم الإنسان للفلسفة ومصطلاحاتها ولأقوال الفلاسفة واختلافهم على بعض هو – عند ابن تيمية – من أنفع الأمور، وأحسنها.

ويقول: "الفلسفة الصحيحة المبنية على المعقولات المحضة توجب عليهم تصديق الرسل فيما أخبرت به" [١٩٨٦، ١/٣٦٥].

ويقول: "فمن تبحَّر في المعقولات، وميَّز بين البينات والشبهات، تبين له أن العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاء به الرسول، وكلما عظمت معرفة الرجل بذلك عظمت موافقته للرسول" [١٣٩٩هـ، ٥/٣١٤].

فهناك فلسفة صحيحة مبنية على المعقولات المحضة، يُميز بها بين البينات والشبهات، توجب وتؤدي إلى

تصديق الرسل فيما أخبرت به؛ لأن هذه المعقولات الصريحة من أعظم الأشياء موافقة لما جاءت به الرسل.

وقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية بتدريس الفلسفة لبعض تلاميذه، إذ قام بتدريس قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي لتلميذه محمد بن أحمد بن عبد الهادي صاحب العقود الدرية. [ابن رجب، ٢٠٠٥، ١١٦/٥].

إذن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يرفض الفلسفة بعمومها، بل تبين له بعد الاطلاع عليها وفحصها أن فيها حق ثابت وباطل منفي، ولم يكن له هذا الموقف لولا أنه قد نظر في كتب القوم حتى قال إن ذلك من أنفع الأمور، وطبق هذه المنهجية في تعليم تلاميذه بتدريسهم بعض كتب الفلسفة، ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن هناك فلسفة صحيحة مبنية على المعقولات المحضة كلما كبر حظ المرء منها كان أعظم موافقة لما جاء به الرسل، وهي المقصودة في هذا البحث من التفلسف في إبداع المفاهيم والبرهنة عليها.

أما الفلسفة الباطلة المنفية عند ابن تيمية فهي كلام الفلاسفة في الإلهيات وهي عنده من الجهل والضلال ما لا يحيط به إلا ذو الجلال [١٩٩٩، ٣٥/٥].

ويقول: "كلامهم في الإلهيات قليل وعلمهم بها ضعيف، ومسائلها عندهم يسيرة وهي مع هذا عندهم لحم جمل غث على رأس حبل وعر، لا سهل فيُرتقى ولا سمين فينتقل" [١٩٩٥، ٣٣٧٥/١].

وهي رغم بطلانها فهي قليلة، ومسائلها عندهم يسيرة، بل يقرر ابن تيمية أن في الفلسفة ما يميزها فيقول: "وإنما كان القوم يعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات كالهندسة وبعض الهيئة وشيئاً من علوم الأخلاق والسياسات المدنية والمنزلية" [١٩٩٩، ٣٥/٥].

ويقول: "وإنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد" [١٩٩٥، ٣٢٥/١٧].

والنتيجة: أن السلف لم يكن موقفهم من الفلسفة سواء، فمنهم المحرِّم فقط دون النقد أو الاطلاع، ومنهم الذي نظر في الفلسفة وبرز في ذلك على أهله، وجوَّز الاطلاع على مقالات أهلها بل حسن ذلك وجعله من أنفع الأمور، وميز صحيحها من سقيمها، مبيناً وجه الصحة والفساد، مشتغلاً في نقد الآراء دون التقليل من قيمة التفلسف، ورافضاً لجمود لا يتسع للبحث العقلي الفلسفي، ولو أن الدراسات الفلسفية سارت منذ عهد ابن تيمية على منهاجه في النقد والتفكير والتفلسف، لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغاً عظيماً.

إذن قول القائل: أن السلف قالوا بتحريم الفلسفة عموم ينقضه البحث العلمي.

المطلب الخامس: تدريس الفلسفة في بعض البلاد العربية لم يحقق أهدافاً إيجابية

إن غياب أهداف تدريس الفلسفة التي ظنها واضعوها أهدافاً لها، لا يرجع إلى الفلسفة ذاتها، وإنما وبحسب

الدراسات والأبحاث العلمية المنشورة بهذا الخصوص[١] هناك أسباب عديدة من الممكن الإشارة إلى بعضها في النقاط التالية:

١ – الفلسفة التي تم تدريسها في بعض البلاد العربية قامت على أسس الفلسفة الغربية القديمة والحديثة، والتي تختلف في تصوراتها العقدية عن أصول هذه الأمة واعتقادها، فلكل أرض ما يناسبه من بذر ونبات، ومحاولة استزراعها في هذه البيئة المختلفة تماماً لن يكون له أثراً إيجابياً.

٢ – عدم تحديد مفهوم الفلسفة والمهام التي يجب أن تضطلع بها وفق احتياجات البيئة العربية.

فإن كان من الصعوبة بمكان تعريف الفلسفة فقد يكون ثمة طريق لتحديد شيء آخر على علاقة بالفلسفة ويسمح لنا بتحديد ماهيتها، هذا الشيء هو المشترك بين كل الفلسفات التي وجدت والتي سوف توجد، إنه "التفلسف"، ولئن كانت الفلسفة غير قابلة للتعليم والتعلم لكونها غير موجودة فإن ما يجعلها ممكنة هو التفلسف أو التفكير وفق مقتضيات الفلسفة، التفلسف هو مجال لا متناه لاستعمال العقل ومنه تولدت النظريات والأنساق الفلسفية المختلفة، بوسعنا إذن أن نتعلم كيف نتفلسف.

فليس الهدف من تدريس الفلسفة هو تعليم الفلسفة بل تعليم كيفية "التفكير الفلسفي" وهو ما سُمّي في مقررات التعليم الرسمية بـ "الأهداف النواتية" لتعليم الفلسفة، أي الأشكلة Problematisation والمفهمة Conceptualisation والبرهنة أو الحجاج Argumentation.

٣ – سلبية صورة الفلسفة لدى عامة الناس، وحتى لدى بعض المتعلمين منهم، فهي تقترن بالغموض والتعقيد وتوصف بكونها مشككة في ما استقر عليه رأي الجميع، وعدّ من البديهيات والثوابت، ولهذا اعتبرت الفلسفة استمراراً لوضع قديم وجدت فيه منذ ظهورها كونها خطراً على القيم الاجتماعية وعلى العقائد الدينية، ولذلك وجب الاحتراس من المتفلسفة وإن تطلب ذلك منع تداول الفلسفة ونشرها (وهو أمر حاصل في عدد من الدول العربية)، ويمكن مقاومة هذا الرأي السائد بانفتاح الخطاب الفلسفي على العلوم والمعارف والممارسات في تغيير هذه النظرة توضيح انعدام التعارض الضروري بين التفكير الفلسفي والقيم الثقافية السائدة، ولعل التناول النقدي والمقاربة التأويلية للنصوص الفلسفية العربية القديمة تدخل أيضاً في هذا الإطار، إن هدف الفلسفة ليس بالضرورة تكسير القيم وإسقاط الأنماط السائدة، فقد يكون هدفها مجرد الإصلاح، وقد يتمثل في النقد البناء الهادف كفكر نقدي كطريقة مخصوصة في تناول المواضيع وإثارة المشكلات وبناء الحجاج.

---

(١) من هذه الدراسات والأبحاث العلمية ـ التي اعتمدت عليها في الجواب عن هذه الإشكالية:
ـ مشكلات تدريس المواد الفلسفية في المرحلة الثانوية، لهيلا بوز، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩٧م.
ـ المحتوى التربوي والتفكير الاستدلالي لمادة الفلسفة، أكملي قوقام، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤م.
ـ في تدريس الفلسفة سلسلة ملفات بحثية في الفلسفة والعلوم الإنسانية، تقديم وتنسيق الطيب بوعزة ويوسف بن عدي، ١١ ديسمبر ١٠١٥م.

المبحث الرابع:

ضوابط ومعايير تفي تدريس الفلسفة

١ – أن يكون الهدف الأساس من تدريس الفلسفة إبداع رؤية فلسفية عربية مستقلة عن طريق التصنيع الفلسفي للمفاهيم العربية الأصيلة، يقوم به جيل يُعبر عن حضارته، ويتحرر من ربقة الفكر الفلسفي الغربي.

٢ – أن يكون إبداع المفاهيم ليس حول نفس الإشكالات والاستدلالات والنظريات التي تتضمنها الفلسفة الغربية، بل نتفلسف بما يخصنا من القضايا والإشكالات.

٣ – استيفاء غرض الفلسفة الذي هو السؤال والنقد، وعرض المفاهيم المنقولة على أساس معيار الأدلة المنطقية.

٤ – تدريس الفلسفة العملي لا العلمي، بمعنى قراءة الفلسفة في جانبها العملي السلوكي أي استنباط الأحكام العملية من الأدلة العقلية.

٥ – أن يهتم الخطاب الفلسفي بالمستقبل، ويقدم طرحاً فلسفياً جديداً يواجه به العالم المتجدد ومتغيراته.

٦ – أن يناط بتدريس الفلسفة بناء مشروع التجديد الديني القائم على البناء العقلي والمتسلح بالأدوات والآليات الخاصة بالعلوم الإسلامية.

٧ – تأصيل المصطلح الفلسفي العربي بما يتوافق مع تطورنا الفكري، وعدم الاعتماد على المصطلح الأوروبي للدلالة على مواقفنا الفلسفية.

٨ – ضرورة الاستفادة من المفاهيم الفلسفية العالمية بما يتوافق مع هويتنا الإسلامية، وإعادة إبداعها في المجال الفلسفي العربي.

٩ – ألا يتوجه تدريس الفلسفة إلى نقد الفلسفة ومقالات الفلاسفة كما هو الحال في بعض جامعاتنا العربية، فالجيل المعاصر بحاجة إلى بناء فلسفي خاص يُعنى بدراسة القضايا الفلسفية وفق رؤية إسلامية شاملة.

١٠ – وحتى نخرج في قضية تدريس الفلسفة من هاجس الخوف على العقيدة لا بد أن نبني مناهجنا على التفلسف لا الفلسفة، ونفرّق بين الفلسفة من حيث هي مقولات وتصورات، وبين الفلسفة كعلم مستقل وقائم بنفسه لا يخضع لزمان ولا مكان ولا مجتمع ولا حضارة، إنما ينبع من خصوصياتنا وواقعنا.

١١ – التركيز على تدريس مهارات التفكير الفلسفي وآلياته والتي تبدأ بالدهشة أو السؤال، وقد تبدأ بالريبة والشك، أو الرفض والنقد، وتكتمل بالحوار والجدل أو التحليل والتركيب أو التعميم والتجريد، كل هذه المهارات مجتمعة لأجل السؤال عن المستقبل. [النشار، ٢٠١٨، ص ٢٢].

١٢ – أخيراً يجب الحذر من زجّ مسلَّمات ويقينيات الإسلام في مجال التداول الفلسفي، حتى لا يعيد التاريخ

مقالات التحذير من الفلسفة والتنفير منها لالتباس مفهوم الفلسفة والتفلسف.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر إتمام هذا البحث، والذي انتهيت فيه إلى عدد من النتائج، من أهمها:

الأمر الأول: قبل تدريس الفلسفة لا بد من تحديد ماهية الفلسفة التي ستُدرس، وظهر من خلال البحث أنها ليست تصورات وأفكار الفلاسفة القدماء أو المحدثين، وإنما فن وإبداع وصنع المفاهيم، فليس هناك فلسفة يمكن تعلمها، بل ما يمكن تعلمه هو التفلسف.

الأمر الثاني: تحديد ماهية الفلسفة يزيل الإشكال الذي يطرحه مناهضو تدريس الفلسفة بخطر الفلسفة على العقيدة، وقد برز من خلال البحث دور الفلسفة في ترسيخ الإيمان من خلال مبادئ التفكير الفلسفي العقلي، ومحاربة البدع والتطرف الديني والتصدي للإلحاد، وترسيخ القيم الأخلاقية وغير ذلك.

الأمر الثالث: الارتباط الوثيق بين الفلسفة والدين يؤكد على ضرورة الاستفادة من الفلسفة في المجال الاعتقادي من خلال إبداع منظور فلسفي إسلامي معاصر يجيب عن الإشكالات العقدية المعاصرة في مجال الوجود والمعرفة والقيم، ويصلح أن يكون مادة دراسية للتعلم.

الأمر الرابع: لضبط تدريس الفلسفة عقائدياً لا بد من مراعاة عدة أمور منها: التركيز على الهدف الأساس من تدريس الفلسفة بإبداع رؤية فلسفية مستقلة وخاصة متحررة من الفلسفة الغربية، ولها إشكالاتها واستدلالاتها تقوم على أساس معيار السؤال والنقد وتهتم بالمستقبل، ويكون من مخرجاتها مشروع التجديد الديني القائم على البناء العقلي والمحكوم بآليات الدين الإسلامي، مع الاستفادة من المفاهيم الفلسفية العالمية بما يتوافق مع هويتنا الإسلامية، مع بقاء مسلَّمات ويقينيات الإسلام خارج التداول الفلسفي.

ومن أهم التوصيات:

– ينبغي على الباحثين والدارسين لعلم العقيدة أن يجتهدوا في تقديم الاجتهادات في حقل الإبداع الفلسفي للتوصل إلى بناء فلسفي خاص يجيب عن الأسئلة الفلسفية الكبرى، حتى يمكن الاستغناء عن ما لا يتناسب مع حضارتنا من الفلسفة الغربية.

– إنشاء مؤسسة فلسفية عربية تعنى بإنتاج مصطلحات ومفاهيم فلسفية تتناسب مع روح العصر، وتزخر بمفاهيم جديدة تواكب التغيرات التي تطرأ على ساحة المعرفة.

– الاهتمام بالتراث الفلسفي الإسلامي، من خلال استقراء نتاج فلاسفة الإسلام الموافقين للكتاب والسنة، واستخراج المخزون الفلسفي وصياغته في قوالب ومناهج دراسية.

المراجع:

- ابن الصلاح، عبدالرحمن بن عثمان، (١٩٨٦)، فتاوى ورسائل ابن الصلاح، تحقيق: عبدالمعطي أمين، بيروت: دار المعرفة.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٩٩٥)، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (١٣٩٩)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (١٩٨٦)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (٢٠٠١)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة، تحقيق: موسى الدويش، المدينة المنورة: مكتبة دار العلوم والحكم.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (٢٠١٤)، المقدمة، تحقق: عبد الواحد وافي، القاهرة: دار النهضة.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، (٢٠٠٥)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان.
- أرسطو، طاليس، (د.ت)، دعوة للفلسفة، ترجمة عبد الغفار مكاوي، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- أفلاطون، أرستوكليس بن أرستون، (٢٠١٠)، جمهورية أفلاطون، ترجمة أحمد المنياوي، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- إقبال، محمد (د.ت)، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (٢٠٠٢)، الجامع الصحيح، دمشق: ابن كثير.
- بوخينسكي، جوزيف (١٩٩٦)، مدخل إلى الفكر الفلسفي، القاهرة: دار الفكر العربي.
- بوعزة، الطيب، (٢٠١٥)، في تدريس الفلسفة ملفات بحثية في الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- بوعزة، الطيب، (٢٠٢١)، في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، القاهرة: نماء للبحوث والدراسات.
- بيكون، فرانسيس، (٢٠١٣)، الأرجانون الجديد، ترجمة: عادل مصطفى، (د.ط).
- حسن، علي حسن، (١٩٩٩)، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، الرياض، دار إشبيليا.
- حلمي، مصطفى، (٢٠٠٤)، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الدبيسي، حيدر، (٢٠٢١)، النص الفلسفي الحديث قراءة جيل دولوز المعاصرة، الجزائر: دار الروافد.
- دولوز، جيل، (١٩٩٧م)، ما هي الفلسفة، ترجمة مطاوع صفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- ديكارت، رينيه، (١٩٦٨)، مقال عن المنهج، ترجمة: محمود الخضيري، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- ديورانت، وليم، (٢٠١٦)، قصة الفلسفة حياة الفلاسفة وآراؤهم من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة: أكرم مؤمن، القاهرة: مكتبة ابن سينا.
- الذهبي، محمد بن أحمد، (٢٠١٣)، بيان زغل العلم، سوريا: دار الميمنة.
- الزنيدي، عبد الرحمن (٢٠١٣)، مصادر المعرفة في الفكر الديني، الرياض، مكتبة الرشد.
- زيدان، رضا، (٢٠٢١)، أزمة الفلسفة الأخلاقية، الرياض: مركز دلائل.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (د.ت)، التحدث بنعمة الله، مصر: المطبعة العربية الحديثة.
- صبحي، أحمد محمود (٢٠٠٦)، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مصر: دار المعارف.
- عبدالرحمن، طه، (٢٠٠٤)، فقه الفلسفة، القاهرة: المركز الثقافي العربي.
- عفيفي، محمد عبد الله، (١٩٨٨)، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدرسات الإسلامية.
- غادامير، (٢٠٠٧)، طرق هيدغر، ترجمة علي حكم صالح، بيروت: الكتاب الجديد.
- غلاب، محمد، (٢٠٢٠)، المذاهب الفلسفية العظمى في العصورالحديثة، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
- كانط، إيمانويل، (٢٠١٧)، نقد العقل المحض، لبنان: دار التنوير.
- محمود، زكي نجيب، (١٩٥٦)، نظرية المعرفة، مصر: دار الشروق.
- الميداني، عبد الرحمن، (١٩٧٩)، كواشف زيوف، دمشق: دار القلم.
- الندوي، سليمان (٢٠٠٥)، المسلمون ومدارس الفلسفة الإغريقية، مجلة الثقافة الإسلامية.
- الندوي، سليمان (٢٠٠٥)، مقدمة الرد على المنطقيين، بيروت: مؤسسة الريان.
- النشار، مصطفى (٢٠٠٨)، التفكير الفلسفي المبادئ والمهارات، القاهرة: الدار المصرية.

Teaching philosophy in the light of the Islamic creed

Dr. Modawee Soliman Albassam
Associated professor, Islamic studies department,
College of education, King Saud University

Abstract. Before teaching philosophy, it is necessary to specify that philosophy is not linked to a bounded significance, nor a particular approach, nor to the thoughts of ancient or modern philosophers. Rather, it is the philosophizing and the creation of concepts. In order for us to get out of the issue of teaching philosophy from the obsession of fear over creed, we should base our approaches on philosophizing not philosophy. Also we should differentiate between philosophy in terms of statements and perceptions and philosophy as an independent and self-sustaining science that is not subject to constraints of time, place and society or civilization but stems from our distinction and our current situation and time. The close link between philosophy and religion assures the necessity of benefiting from philosophy in the field of belief through the creation of a contemporary Islamic philosophical perspective that answers contemporary doctrinal problems in the field of knowledge, existence and values based on the criterion of questioning, criticism and rational construction that governed by the mechanisms of our Islamic heritage With the necessity to benefit from global philosophical concepts in accordance with our Islamic identity and to re-create them in the Arab philosophical field.

Key words: phylosophy, philosophizing, creed, teaching, Islamic